مقتطفات من كتاب

عبقرية محمد

عباس العقاد



إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

لم يكن أبو لهب أزهد فى اللذة من عمر..

ولم يكن السابقون إلى محمد أرغب فى النعيم من المتخلفين عنه، ولكننا ننظر إلى السابقين وننظر إلى المتخلفين، فنرى فارقًا واحدًا بينهم أظهر من كل فارق. ذلك هو الفارق بين الأخيار والأشرار، وبين الرحماء المنصفين والظلمة المتصلفين، وبين من يعقلون ويصغون إلى القول الحق، ومن يستكبرون ولا يصغون إلى قول.

ذلك هو الفارق الواضح بين من سبقوا ومن تخلفوا، وليس هو الفارق بين طالب لذة وزاهد فيها، أو بين مخدوع فى النعيم وغير مخدوع.

وصفوة ما تقدم أن الإسلام لم يوجب القتال إلا حيث أوجبته جميع الشرائع وسوغته جميع الحقوق، وأن الذين خاطبهم بالسيف قد خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك، إلا أن يحال بينها وبين انتضائه، أو تبطل عندها الحاجة إلى دعوة الغرباء إلى أديانها. وإن الإسلام عقيدة ونظام، وهو من حيث النظام شأنه كشأن كل نظام فى أخذ الناس بالطاعة ومنعهم أن يخرجوا عليه..

بعد معركة الأحزاب:

ونحن فى صدد الحديث عن الرحمة والقسوة يحسن بنا أن نستقصى ما ذكره المؤرخون الأوربيون من مآخذ فى هذا الباب، وأهمه -عدا ما قدمناه- قتل المقاتلين من بنى قريظة بعد معركة الأحزاب.

فإن أولئك المؤرخين يستعظمون قتلهم ويحسبونه مخالفًا للعرف المتبع فى الحروب، وينسون أمورًا لا يصدق الحكم فى هذه المسألة ما لم يذكروها ويستحضروها أتم استحضار.. وهى أن بنى قريظة حنثوا فى أيمانهم مرات فلا يجدى معهم أخذ المواثيق من جديد، وأنهم قبلوا حكم سعد بن معاذ وهم الذين اختاروه، وأن سعدًا إنما دانهم بنص التوراة الذى يؤمنون به كما جاء فى التثنية: «حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك. فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك...».

(أصحاح ١٠ إلى ١٥ تثنية)

وينبغى أن يسأل الناقدون أنفسهم بعد هذا: ماذا كان مصير المسلمين لو ظفرت بهم الأحزاب؟

ومع هذا كان يذكر فضلهم ويشيد بذكرهم كما قال عن أبى بكر: «ما أحد أعظم عندى يدًا من أبى بكر؛ واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته»، وكما قال عن أبى بكر وعمر: «أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر»، وكما قال عن على: «على أخى فى الدنيا والآخرة»، وكما قال عن بعض أصحابه: «إن الله تعالى أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم: علىٌّ منهم، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان»

وقصد النبى بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها؛ لأنهم أصحاب السلطة التى تأبى العقائد الجديدة، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هى التى كانت تحول دون الدعوة المحمدية، وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء؛ لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كان يمنع العوائق التى تصد الدعوة الإسلامية، فيمتنع القتال.

والحقيقة الثالثة: أن الإسلام لم يحتكم إلى السيف قط إلا فى الأحوال التى أجمعت شرائع الإنسان على تحكيم السيف فيها..

وكان نابليون يقول إن نسبة القوة المعنوية إلى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة إلى واحد..

والنبى عليه السلام كان عظيم الاعتماد على هذه القوة المعنوية التى هى فى الحقيقة قوة الإيمان. وربما بلغت نسبة هذه القوة إلى الكثرة العددية كنسبة خمسة إلى واحد فى بعض المعارك، مع رجحان الفئة الكثيرة فى السلاح والركاب إلى جانب رجحانهم فى عدد الجنود. ومعجزة الإيمان هنا أعظم جدًا من أكبر مزية بلغها نابليون بفضل ما أودع نفوس رجاله من صبر وعزيمة.

وليس فى سجل المودة الإنسانية أجمل ولا أكرم من حنانه على مرضعته حليمة ومن حفاوته بها وقد جاوز الأربعين، فيلقاها هاتفًا بها: أمى! أمى! ويفرش لها رداءه ويمس ثديها بيده.. كأنه يذكر ما لذلك الثدى عليه من جميل، ويعطيها من الإبل والشاء ما يغنيها فى السنة الجدباء..

ولقد وفدت عليه هوازن وهى مهزومة فى وقعة حنين وفيها عم له من الرضاعة.. لأجل هذا العم من الرضاعة تشفع النبى إلى المسلمين أن يردوا السبى من نساء وأبناء، واشترى السبى ممن أبوا رده إلا بمال.

وحضنته فى طفولته جارية عجماء فلم ينس لها مودتها بقية حياته، وشغله أن تنعم بالحياة الزوجية.. ما يشغل الأب من أمر بناته ورحمه، فقال لأصحابه: «من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن..» ومازال يناديها يا أمه كلما رآها وتحدث إليها، وربما رآها فى وقعة قتال تدعو الله وهى لا تدرى كيف تدعو بلكنتها الأعجمية، فلا تنسيه الوقعة الحازبة أن يصغى إليها ويعطف عليها.



فسأله أبو سفيان مستهزئًا: «أنشدك الله يا زيد . أتحب أن محمدًا الآن عندنا فى مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك؟» فأجابه زيد : «والله ما أحب أن محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى . . .».

فصاح أبو سفيان دهشًا: «ما رأيت من الناس أحدًا يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمدًا . . .».

وكان يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه.. فروى أنه كان فى سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة. فقال رجل : يا رسول الله! علىَّ ذبحها وقال أخر . وعلى سلخها وقال أخر : علىَّ طبخها . . فقال عليه السلام : وعلىَّ جمع الحطب.

فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل . قال : علمت أنكم تكفوننى ، ولكن أكره أن أتميز عليكم ، إن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه» .

أهل الكفاءة لا أهل الثقة:

وكان النبى الرئيس يعلم أن الرئاسة لجميع المرؤوسين وليست للموافقين منهم دون المخالفين، فيأمر قومه أن «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا فإنها ليس دونها حجاب».

وإذا قال هذا رئيس ونبى فإنها لأولى السنن أن يتبعها الرؤساء كافة، لأنهم لم يبعثوا لنشر الدين ومحو الكفر كما بعث الأنبياء.

لقد كانت سُنَّة الرئاسة عند محمد هى سُنَّة الصداقة.. فلو استغنى حكم عن الشريعة لاستغنى عنها حكم هذا الرئيس الذى جاء بالشريعة لجميع متبعيه.

ولقد تقدم الزمن فى الغرب من العصور المظلمة إلى عصور الفروسية إلى ما بعدها من طلائع العصر الحديث ولما تبرح المرأة فى منزلة مسفَّة لا تفضل ما كانت عليه فى الجاهلية العربية، وقد تفضلها منزلة المرأة فى تلك الجاهلية..

ففى سنة ١٧٩٠، بيعت امرأة فى أسواق إنجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تؤويها..

وبقيت المرأة إلى سنة ١٨٨٢، محرومة حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة.

وكان تعلُّم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال، فلما كانت إليصابات بلا كويل تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ -وهى أول طبيبة فى العالم- كان النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها.

قال الأستاذ رشيد رضا -رحمه- الله فى كتابه نداء للجنس اللطيف: «أما الهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ويشق عليها هجره إياها ، ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه وهو الفراش ، ولا بهجر الحجرة التى يكون فيها الاضطجاع ، وإنما يتحقق بالهجر فى الفراش نفسه . وتعمد هجر الفراش أو الحجرة زيادة فى العقوبة لم يأذن بها الله تعالى وربما يكون سببًا لزيادة الجفوة وفى الهجر فى المضجع نفسه معنى لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذى هو فيه ، لأن الاجتماع فى المضجع هو الذى يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين إلى الآخر ويزول اضطرابها الذى أثارته الحوادث قبل ذلك .

قال لنا بعض المستشرقين إن تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية.. قلنا إنك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية Undersexed لأنه لم يتزوج قط، فلا ينبغى أن تصف محمداً بأنه مفرط الجنسية Oversexed لأنه جمع بين تسع نساء.

فهذا تأديب نفس وليس بتأديب جسد، بل هذا هو الصراع الذى تتجرد فيه الأنثى من كل سلاح، لأنها جربت أمضى سلاح فى يديها فارتدت بعده إلى الهزيمة التى لا تكابر نفسها فيها. فإنما تكابر ضعفها حين تلوذ بفتنتها. فإذا لاذت بها فخذلتها فلن يبقى لها ما تلوذ به بعد ذاك.

ويجب أن نذكر بعد هذا أن النظام الاقتصادى القديم فى أساسه كان مرتبطًا بالاسترقاق أشد الارتباط. فكان إلغاؤه طفرة واحدة أقرب شىء إلى المستحيلات، ولم يكن أنفع فى علاجه من التدرج خطوة فخطوة والابتداء بتصعيبه وترغيب الناس عنه، وهو ما شرعه الإسلام.



وعلى هذا كان النبى عليه السلام يكره أن تقبل يداه مخافة أن تجرى العادة بهذا بين الناس فتحمل بينهم على محمل الذلة والخضوع. قال أبو هريرة - رضى الله عنه: «دخلت للسوق مع النبى ﷺ فاشترى سراويل، وقال للوزَّان: زن وأرجح. فوثب الوزان إلى يد رسول الله ﷺ يقبِّلها، فجذب يده وقال: هذا تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا رجل منكم. ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها فقال: صاحب الشىء أحق بشيئه أن يحمله».

لهذه السنة التى استنها النبى عليه السلام فى عبادته الروحية كثرت وصاياه بإدمان التفكير فى خلق الله واجتناب التفكير فى ذات الله فقال فى حديث: «تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله». وقال فى هذا المعنى: «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا». وقال فى حديث قدسى: «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف». أو كما جاء فى رواية: «فخلقت الخلق فبى عرفونى».

قبوله للدعابة:

وكان نعيمان بن عمرو أشهر الأنصار بالدعابة، لا يقيل منها أحدًا ولا يراه النبى فيتمالك أن يبتسم.. وربما قصد النبى ببعض هذه الدعابات لطمعه فى حلمه وعلمه بموقع الفكاهة من نفسه: جاء أعرابى إلى الرسول فدخل المسجد وأناخ راحلته بفنائه، فقال بعض الصحابة لنعيمان: «لو نحرتها فأكلناها؟ .. فإنا قد قرمنا إلى اللحم، ويغرم النبى ﷺ حقها». فنحرها نعيمان. وخرج الأعرابى فرأى راحلته فصاح: «واعقراه يا محمد! فخرج النبى يسأل: «من فعل هذا؟»

قالوا: «نعيمان».. فاتبعه النبى حتى وجده بدار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى فى خندق وجعل عليه الجريد فأشار إليه رجل ورفع صوته: «ما رأيته يا رسول الله». وهو يشير بأصبعه إلى حيث هو، فأخرجه رسول الله وقد تعفر وجهه بالتراب فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» قال: «الذين دلوك على يا رسول الله هم الذين أمرونى!» فجعل رسول الله يمسح عن وجهه التراب ويضحك.. ثم غرم ثمن الراحلة.

ونعيمان هذا هو الذى باع عاملاً لأبى بكر الصديق وهو يعلم أن النبأ واصل إلى النبى لا محالة.

سافر أبو بكر إلى بصرى تاجرًا ومعه نعيمان وسويط بن حرملة عامله على زاده. فجاءه نعيمان وطلب إليه طعامًا فأباه عليه حتى يأتى أبو بكر، فأقسم نعيمان ليغيظنه. وذهب إلى قوم فقال لهم: «تشترون منى عبدًا لى؟». قالوا: «نعم!». قال: «إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم: لست بعبده أنا رجل حر.. إلى أشباه ذلك. فإن كان إذا قال لكم هذا تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدى..». قالوا: «لا.. بل نشتريه ولا ننظر إلى قوله». فاشتروه منه بعشر قلائص، ثم أداهم إياه فوضعوا عمامته فى عنقه ولم يحفلوا بقوله، وجعلوا كلما قال لهم: «أنا حر!.. إنه يتهزأ ولست أنا بعبده». سخروا منه وقالوا: بل عرفنا خبرك فدع عنك اللجاجة.. فلما جاء أبو بكر سأل عنه فقص عليه نعيمان قصته، وذهبوا جميعًا ليلحقوا بالقوم فيفتدوه ويعيدوه.

ثم قدموا على رسول الله فضحك من فعلة نعيمان، وجعل يذكرها حولاً كاملاً كلما رآه.

وإذا مزح محمد فإنما كان يعطى الرضا والبشاشة حقهما ولا يأخذ لهما من حق الصدق والمروءة. فكان مزاحه آية من آيات النبوة لأنه كان كذلك آية من آيات الإنسانية، ولم يكن بالنقيض الذى يستغرب من نبى كريم.

قال لعمته صفية : **لا تدخل الجنة عجوز! . .** فبكت ، فقال لها وهو يضحك : الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ {الواقعة ٣٥-٣٧}

ففهمت ما أراد وثابت إلى الرضا والرجاء.

وطلب إليه بعضهم أن يحمله على بعير فوعده أن يحمله على ولد الناقة فقال : يا رسول الله! ما أصنع بولد الناقة؟ فقال : وهل تلد الإبل إلا النوق؟

وكان عليه السلام يقول لحاضنته السوداء أم أيمن وهى عجوز: «غطى قناعك يا أم أيمن!».

وسمعها فى يوم حنين تنادى بلكنتها الأعجمية: «سبَّت الله أقدامكم!» . فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصغى إليها ويداعبها بين نذر الحرب وصليل السيوف، وأقبل عليها يقول: «اسكتى يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان!» ، فكانت هذه الدعابة فى ذلك الموقف المرهوب كأنها تربيت سيد الفصحاء على تلك اللكنة البريئة.

إنما الكتاب تقدير «لعبقرية محمد» بالمقدار الذى يدين به كل إنسان، ولا يدين به المسلم وكفى، وبالحق الذى يثبت له الحب فى قلب كل إنسان، وليس فى قلب كل مسلم وكفى.

فمحمد هنا عظيم؛ لأنه قدوة المقتدين فى المناقب التى يتمناها المخلصون لجميع الناس..

عظيم؛ لأنه على خلق عظيم..



وحسبك من حب الضعفاء إياه أن فتى مستعبداً يفقد أباه وأسرته – كزيد بن حارثة – ثم يظهر له أبوه بعد طول الغيبة، فيؤثر البقاء مع محمد على الذهاب مع أبيه..

وإن خادم خديجة رضى الله عنها – ونعنى به ميسرة – يقدمه ليبشر سيدته بالربح والتوفيق فى تجارته، وهو أولى أن ينفس عليه، وأن يدعى لنفسه ما اختصه به من الفضل والتقدم.

فهم لم يسلموا على حد السيف خوفًا من النبى الأعزل المفرد بين قومه الغاضبين عليه، بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد الأقوياء المتحكمين.. ولما تكاثروا وتناصروا حملوا السيف ليدفعوا الأذى ويبطلوا الإرهاب والوعيد، ولم يحملوه ليبدأوا واحداً بعدوان أو يستطيلوا على الناس بالسلطان.

فلم تكن حرب من الحروب النبوية كلها حرب هجوم، ولم تكن كلها إلا حروب دفاع وامتناع.

أما الإغراء بلذات النعيم ومتعة الخمر والحور العين، فلو كان هو باعثًا للإيمان، لكان أحرى الناس أن يستجيب إلى الدعوة المحمدية؛ هم فسقة المشركين وفجرتهم وأصحاب الترف والثروة فيهم، ولكان طغاة قريش هم أسبق الناس إلى استدامة الحياة واستبقاء النعمة. فإن حياة النعيم بعد الموت محببة إلى المنعمين تحبيبها إلى المحرومين، بل لعلها أشهى إلى الأولين وأدنى، ولعلهم أحرص عليها وأحنى، لأن الحرمان بعد التذوق والاستمراء أصعب من حرمان من لم يذق ولم يتغير عليه حال.

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاند رويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)



www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355